الفصل الأول

حـول التـراث
استفتـاء النصـوص

حول التراث

١

عاش العربى حياة من نوع خاص ، واجه فيها الطبيعة بقسوتها ، طبيعة الجو ، وطبيعة الأرض ، فكان بين هذه وتلك الإنسان الذى يصارع من أجل البقاء . ليس فحسب بل من أجل الحرية أيضا . حرية الفكر ، والحب ، وممارسة الحياة .

لقد صنعت الطبيعة حياة العربى ، فلم تعوده على وجه واحد ، بل كانت تقدم له الوجهين معا ، وكانت تفرض عليه أن يعيش جانبى الواقع حتى آخر لحظة من الحياة . وقد أيقظت فيه هذه الحياة صفة التوقع ، الذى يتدخل فى الوقت المناسب لينقله من حالة العسر إلى حالة اليسر ، ومن حالة الخوف إلى حالة الأمن .

ولما كانت حياة العربى من صنع الطبيعة ، فإنه يكون جزءًا منها ، فهو تارة يكون رقيقا مثل رقتها ، وتارة أخرى يكون عنيفا مثل عنفها . ولم يكن هذا المسلك من العربى عن عقدة نفسية ، أو تناقض سلوكى ، بل كان ترجمة لتقلبات الحياة ، وما يصيبها من تغيرات .

يحكى ابن بطوطة قصة صديق له ، ضل طريقه فى جبل حراء ، فاشتد عليه الحر ، ونفد قوته وماؤه ، فلجأ إلى ظل حجر ، وأقام مجهدا عطشان ، والغربان

تحلق فوق رأسه تنتظر موته . فلما أقبل المساء وأنعشه نسيم الليل البارد ، قام عند الصباح ونزل إلى بطن واد حجبت الجبال عنه الشمس ، ولم يزل ماشيا حتى تبدت على البعد خيمة فقصدها . وما إن وصل إليها حتى سقط على الأرض ، عاجزا عن النهوض ، فسقته صاحبة الخيمة ، ثم حمله زوجها إلى مكة ، «فوصلها عند العصر فى اليوم الثانى ، متغيرا كأنه قام من قبر» [1] . إن الطبيعة الجغرافية فى البلاد العربية تقدم الشيئين متجاورين : شمساً متصلبة فى كبد السماء ، وناراً تمتلىء بها الأرض ، فتفوح رائحة العرق وتنشف الحلوق .. إنه جو يقول للعربى : كن عنيفا ، استجب لنداء الطبيعة . اشتد فى ضراوتك ولكن .. إن ثمة نسمة رطبة تأتى من بعيد ، إنها الخيمة وقد وقفت الحسناء عند بابها ، وشاءت المقادير أن تقدم للعربى ماء قراحا يرد إليه الحياة . وقد يتجاذب القلبان وتكون قصة حب تشتعل فى قلب هذا العربى [2] إنهما «قيس ولبنى» . وقد تكون هذه الحسناء جارية «**أحسن ما تكون كأنها قضيب يتثنى ، وسْناء العينين ، مُهفهفة الخصر ، حاسرة الرأس**» [3] .

وقد يحدث أن ينزل الركب إلى واد يجد فيه الظل والماء والراحة ، يقول أبوزيد الطائى :ـــ «**اخروَّط بنا المسير فى حمارَّة القيظ ، حتى إذا عصبت الأفواه ، وذبلت الشفاه ، وسالت المياه ، وأذكت الجوزاء المغراء ، وذاب الصيخد ، وصبر الجندب ، وضايق العصفور الضب فى وجاره ، قال قائلنا : أيها الركب ، غوروا بنا فى مروج هذا الوادى ، فإذا واد كثير الدغل ، دائم الغلل ، شجْراؤه مغنَّة ، وأطياره مرنَّة ، فحططنا رجالنا بأصول دوحات كنهبلات ، فأصبنا من فضلات المزاود ، وأتبعناها بالماء البارد**» [4] .

---

(١) مهذب رحلة ابن بطوطة ١/١١٧

ولد ابن بطوطة فى طنجة سنة ٧٠٣هـ (١٣٠٤م) وتوفى سنة ٧٧٦هـ (١٣٧٧م)

(٢) تزيين الأسواق ١/٥٣

(٣) المحاسن والأضداد ص٢٢٦

(٤) المحاسن والأضداد ص٧٤

وماذا لو لم يكن هذا ولا ذاك ؟ ماذا لو لم تكن الخيمة ولم يكن الوادى ؟

إن العربى يستطيع أن يصطنع لنفسه ظلا وسط هذا الهجير ، ويرى الشىء ، ونقيضه . «**قيل لأعرابى : كيف تصنع بالبادية إذا انتصف النهار ، وانتعل كل شىء ظله ؟ فقال : وهل العيش إلا ذاك ؟ يمضى أحدنا ميلا فيرفَضُّ عرقا كأنه الجمان ، ثم ينصب عصاه ، ويلقى عليها كساه ، وتقبل الرياح من كل جانب كأنه إيوان كسرى**» [1] .

إنها بيئة أخذت من الحياة ، أو أعطتها الحياة ، كما أعطت سائر البيئات فى الأرض ، ومنعتها كما منعت الكثير من المخلوقات .

فلا عجب إذن أن تكون المواهب الطبيعية لبنى الإنسان جارية على هذا الغرار منذ آلاف السنين ، بل منذ الآلاف المؤلفة من الزمن السحيق . فلكل مكان مواهبه وميزاته التى ينفرد بها ، ولكل مكان خصائصه فى القول والإبداع ، أو الفكر والاختراع ، أو الفن فى أشكاله وألوانه المختلفة .

وإذا كان لليونان شعراء وخطباء ذاع أمرهم ، وانتشر صيتهم من زمان مبكر فى عمر الحياة ، فإن للعرب شعراءهم وخطباءهم الذين رسموا معالم بيئتهم ، وصوروا دخائل نفوسهم ، من زمان مبكر فى عمر الحياة أيضا . لقد كانت سوق عكاظ على مقربة من الطائف ، كانت مجتمع الناس فى الأشهر الحرم ، ينصبون خيامهم حول نخيله ، يبيعون ويشترون . وزادت قريش فى بواعث الاجتماع إلى عكاظ ، بأن جعلوها مسرحاً للأدب والشعر ، وفداء الأسرى . وكان هناك رجل يولونه الحكومة ، للفصل فيما عساه يقع من خلاف ، والغالب أن يكون هذا الحاكم لتلك السوق من بنى تميم [2] .

---

(١) **المحاسن والأضداد** ص٧٨

(٢) **جورجى زيدان** : تاريخ التمدن الإسلامى ص٣٧

إن قصة النابغة الذبيانى فى سوق عكاظ شائعة مشهورة فى كتب الأدب العربى . فقد جاء فيها أنه كانت تضرب له قبة من أدم ، يجتمع إليه فيها الشعراء ، فدخل عليه حسان بن ثابت ، وعنده الأعشى ، وقد أنشده شعره ، وأنشدته الخنساء قصيدة فى أخيها صخر مطلعها :

قــذى بعينــيك أم بالعيــن عــوَّار أم أقفــرت إذ خلـت من أهلها الدار

فلما بلغت قولها :ـــ

وإن صخـــرا لتأتـــم الهـداة بـه كأنــه علـم فى رأســـه نـــار

وإن صخـــرا لمولانـــا وســـيدنا وإن صخـــرا إذا نشـــتو لنحـــار

قال النابغة : لولا أن أبا بصير أنشدنى قبلك لقلت إنك أشعر الناس . فقال حسان : أنا والله أشعر منك ومنها ، قال : حيث تقول ماذا ؟ قال : حيث أقول :ـــ

لنـا الجفنـات الغُرُّ يلمعـن بالضُّحـا وأسـيافنا يقطـرن من نجـدة دمـا

ولدنـا بنـى العنقـاء وابنـى محـرق فأكـرم بنـا خـالًا وأكـرم بنـا أمـا

فقال : إنك لشاعر لولا أنك قللت جفانك ، وفخرت بمن ولدت ، ولم تفخر بمن ولدك . وفى رواية قال له : إنك قلت (الجفنات) فقللت العدد . ولو قلت (**الجفان**) لكان أكثر . وقلت (**يلمعن فى الضُّحا**) ولو قلت (**يبرقن بالدجى**) لكان أبلغ فى المديح ؛ لأن الضيف بالليل أكثر طروقا . وقلت (**يقطرن من نجدة دما**) فدللت على قلة القتل ، ولو قلت (**يجرين**) لكان أكثر لانصباب الدم . وفخرت بمن ولدت ، ولم تفخر بمن ولدك . فقام حسان منكسرا منقطعا [1] .

---

(١) أبو الفرج الأصبهانى : **كتاب الأغانى** : الجزء التاسع . مصور عن طبعة دار الكتب المصرية ص٣٤٠

٢

إن الشاعر الحق هو الذى تتضح تجربته فى نفسه ، ويقف على أجزائها بفكره ، يرتبها ترتيبا قبل أن يشرع فى الكتابة . وبقدر استغراق الشاعر فى تجربته بقدر ما يكون نقلها إلينا ، بدقائق ما يحيط بها من أحداث العالم الخارجى . بل إن التجربة لتنبض ــ أحيانا ــ بحياة تفتح عيوننا على حقائق قد لا تبين عنها حقائق الحياة ، أو حالات النفس كما تبدو لأكثر الناس . وقد تقصر كلمات اللغة ومعاجمها عن الكشف عنها ؛ لأن الصورة الشعرية ــ عندئذ ــ وما تضمنته من إيحاء تكون أقوى تعبيرا ، وأكبر أثرا .

ومهما تكن التجربة عاطفية شعورية ، فإنها لا تنفصل عن الفكر الذى يصحبها ، ويساعد الشاعر على تأملها ، فالتعبير الشعرى مناف للتعبير المباشر .. ولاينجح الشاعر فى التعبير عن تجربته حتى تصير أفكاره الذاتية موضوعية ، وذلك بأن تصبح موضوع تأمله[1].

إن التجربة الشعرية إفضاء بما فى داخل النفس ، بالحقيقة التى تتمثلها خواطر الشاعر وتفكيره ، فى إخلاص أشبه ما يكون بإخلاص الصوفى لعقيدته ؛ ولذا فإننا لا نعد شعر المناسبات من التجارب الصادقة ؛ لأنه لا يعتمد على صدق الشاعر ؛ إذ أن الشعر ــ فى هذه الحالة ــ يكون مهنة أو دعاية ، عمادها خلق مشاعر ، أو افتعالها لمجاراة شعور الآخرين . ولا ينهض الفن بمثل هذا الشعر ؛ لأنه لا يكشف عن أغوار القلب الإنسانى . إن التجارب الشعرية العالمية الخالدة لم تصدر إلا عن تجارب عاش لها أصحابها ، وجاسوا خلال نفوسهم يتأملونها ، ويرصدون المشاعر والحقائق ، فجاءت صورا نفسية عميقة .

---

(١) **النقد الأدبى الحديث** للدكتور محمد غنيمى هلال ص٣٦٠ ، ٣٦١

هذه واحدة من قصائد أبى فراس الحمدانى ، أتيح لها أن تشتهر أكثر من كل قصائده ، إنها «**أراك عصى الدمع**» التى تترجم وجدان الشاعر الفارس ، الذى تجيش نفسه رقة وعاطفة ، ممتزجتين باعتزاز وشموخ . يقول :ـــ

أراك عصـــيَّ الدمـــع شـــيمتُك الصبـــر
أمـــا للهـــوى نهـــيٌ عليـــك ولا أمـــر
بلـــى ، أنـــا مشـــتاقٌ ، وعنـــديَ لوعـــة
ولكـــن مثـــلى لا يـــذاعُ لـــه ســـر
إذا الليـــلُ أضـــوانى بســـطتُ يـــدَ الهـــوى
وأذلَلْـــتُ دمعًـــا من خلائقـــه الكبـــر
تـــكاد تضـــيء النـــارَ بيـــن جوانحِـــى
إذا هـــى أذْكتهـــا الصبـــابةُ والفكـــر
معلِّلتـــى بالوصـــل والمـــوت دونـــه
إذا بـــتُّ ظمـــآنا فـــلا نـــزلَ القَطْـــر
حفظـــتُ وضيعـــتِ المـــودة بيننـــا
وأحســـن من بعـــض الوفـــاء لـــك الغـــدر
وما هـــذه الأيـــامُ إلا صحـــائفُ
لِأحْرُفهـــا ، من كـــفٍّ كاتبهـــا ، بشـــر

إن التجربة الصادقة فى الشعر تكشف الخفى المستور من الأسرار ، وتعلن عن هواجس النفس ، ونبضات الفؤاد . وها هوذا الشريف الرضى يقول عن حقيقة الشوق :ـــ

أقـــول ـــ وقـــد أرسلـــت أول نظـــرة
ولـــم أَرَ منْ أهـــوى قريبـــا إلى جنبـــى

لئـــن كنـــتَ أخليـــتَ المـــكان الـــذى أرى
فهيهـــات أن يخـــلو مكانـــك من قلبـــى
وكنـــت أظـــن الشـــوق للبُعـــد وحـــده
ولم أدرِ أن الشـــوق للبعـــد والقـــرب
خـــلا منـــك طـــرفى ، وامتـــلا منـــك خاطـــرى
كأنـــك من عينـــى نقلـــت إلى قلبـــى

إن شاعرنا «الشريف الرضى» من بين القلائل من شعراء العرب ، الذين لم يتخذوا شعرهم وسيلة للغنى والتكسب ، فكانت صلاته وعلاقاته بالحكام صلات صداقة واحترام متبادلين ، كما كانت له عندهم مكانة مودَّة وهيبة ؛ ولذا لقَّبوه بالرضى ذى الحسنيين . يقول من قصيدته الشهيرة «**يا ظبية البان**» .

يـاظبيـــة البـــان ترعـــى فى خمائلـــه
ليهنـــك اليـــوم أن القلـــب مرعـــاك
المـــاء عنـــدك مبـــذول لشـــاربـــه
وليـــس يُرويـــك إلا مدمعـــى الباكـــى
هبَّـــت لنـــا من ريـــاح «الغـــور» رائحـــة
بعـــد الرقـــاد عرفنـــاها بريـــاك
ثـــم انثنينـــا إذا ماهـــزَّنا طـــرب
على الرحـــال ، تَعللنـــا بذكـــراك
ســـهم أصـــاب ، ورامیـــه بـــذى سلـــم
من بالعـــراق ، لقـــد أبعـــدت مرمـــاك
حكـــت لحاظـــك مـــا فـــى الرئـــم من ملـــح
يـــوم اللقـــاء ، وكـــان الفضـــل للحاكـــى

كـــأن طرفـــك يـــوم «الجـــزع» يخبـــرنا
بمـــا طـــوى عنـــك من أســـماء قتـــلاك
أنـــت النعيـــم لقلبـــى ، والعـــذاب لـــه
فمـــا أمـــرَّك فى قلبـــى وأحـــلاك
عنـــدى رســـائل شـــوق لســـت أذكرهـــا
لـــولا الرقيـــب ، لقـــد بلَّغتهـــا فـــاك
وعـــد لعينيـــك عنـــدى ما وفيـــت بـــه
يـــا قـــرب مـــا كـــذَّبت عينـــىَّ عينـــاك
هامـــت بـــك العيـــن ، لم تتبـــع ســـواك هـــوى
من أعلـــم العيـــن أن القلـــب يهـــواك
حـــتى دنـــا البيـــن ما أحييـــت من كمـــد
قتـــلى هـــواك ، ولا فاديـــت أســـراك
يـــا حبـــذا نفحـــة مـــرَّت بفيـــك لنـــا
ونطفـــة غُمِســـت فيهـــا ثنايـــاك
وحبـــذا وقفـــة ، والركـــب معتقـــل
على ثـــرى وخـــدت فيـــه مطـــاياك
لـــو كانـــت اللِّمـــة الســـوداء من عُـــدَدى
يـــوم الغميـــم ، لمـــا أفلـــتِّ أشـــراكى

• • •

٣

إن التراث الشعرى عند العرب ديوان علمهم ، ومنتهى حكمهم ، به يأخذون ، وإليه يصيرون[١] .

يقول ابن سلام : قال ابن عوف ، عن ابن سيرين ، قال : قال عمر بن الخطاب : كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه ، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد ، وغزو فارس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته . فلما كثر الإسلام ، وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالأمصار ، راجعوا رواية الشعر ، فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب ، وألفوا ذلك . وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عليهم منه كثير .

ويقول أبو عمرو بن العلاء : «ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير ». ولا ينفى هذا وجود المأثور الذى حفظ وضياع الشيء الكثير مما لم يدون لسبب أو آخر . وإن كانت الروايات تشير إلى حرص العرب على تراثهم . فقد كان عند النعمان بن المنذر منه ديوان فيه أشعار الفحول ، وما مدح هو وأهل بيته به ، فصار ذلك إلى بنى مروان ، أو صار منه .

ولقد عنى العرب بالأثر المنطوق المكتوب عناية بالغة . يقول الجاحظ :ـــ والكتب بذلك أولى من بنيان الحجارة ، وحيطان المدر ؛ لأن من شأن الملوك أن يطمسوا على آثار من قبلهم ، وأن يميتوا ذكر أعدائهم ـــ فقد هدموا بذلك السبب أكثر المدن وأكثر الحصون . كذلك كانوا أيام العجم ، وأيام الجاهلية ، وعلى ذلك هم فى أيام الإسلام ، كما هدم عثمان صومعة غمدان . وكما هدم الآطام التى كانت بالمدينة[٢] .

---

(١) محمد بن سلام : **طبقات فحول الشعراء** : ٢٢

(٢) **كتاب الحيوان للجاحظ** : تحقيق وشرح الأستاذ عبدالسلام هارون جـ ٧٣/١

إن الشعر مطلب فطرى أصيل فى نفس العربى ، قد يوجد إلى جانبه غيره ، ولكنه لا يغنى عنه .

ومن ذا الذى يمكن أن يتصور أن القصيدة العربية الجاهلية وجدت بيننا خلْقا متكاملا كما نقلت إلينا ؟! إن النمو الطبيعى لها من ناحية الأوزان والموضوعات يقتضى مرورها ــ قبل زمن امرىء القيس ــ بأطوار كثيرة ، ومواجهتها لتعثرات جمَّة، حتى اكتمل لها هذا الشكل الذى نجدها عليه فى شعر امرىء القيس ومن سبقه ، أوجاء بعده ، ذلك الذى دفع بمؤلف غربى مثل (دى فرجيه) إلى أن يقول فى عجب : إن أصول الأدب قد هربت منا لسوء الحظ ؛ فهو حين يطلع علينا لأول وهلة ، يطلع من قلب الصحراء ، تام الخلقة [1] .

إن اللغة ــ أية لغة ــ لا تصبح لغة أدب مهذبة راقية ، إلا بعد أن تقطع زمنا طويلا فى تطورها . وهذا ما يسيغ الحديث عن ازدهار لغة قريش ، وتغلبها قبل الإسلام بقرون عديدة ، حتى أصبحت لغة الأدب ، التى اصطلح العرب عليها ، وألفوها فى شعرهم . وتجدر الإشارة هنا إلى ما قام به عرب الشمال من أعمال تضاف إلى أعمال بنى عمومتهم الجنوبيين ، فإن عرب شرق شبه الجزيرة كان لهم مُلْكٌ منظم قديم ، وحضارةٌ عريقة ، تتصل الإشارات التاريخية إليها اتصالا ثابتا منذ فجر التاريخ . كما أن حضارة العرب فى الشمال،فى تدمر وثمود وبطرة ، وتلك الإشارات إلى نزول إبراهيم فى مكة فى غرب شبه الجزيرة ، واتخاذها دار هجرة له ، ودار مُقام لابنه ، وبنائه مسجدها . كل هذه مظاهر وأطوار من الحضارة تكمل البناء الشامخ الذى اشترك فى بنائه أبناء شبه الجزيرة هذه .

---

(١) نجيب محمد البهبيتى : **تاريخ الشعر العربى حتى أواخر القرن الثالث الهجرى** : ط دار الكتب المصرية ١٩٥٠م . ص٥

كل هذا يرجح أن تكون لغة قريش الأدبية قد سادت شبه الجزيرة وما حولها قبل الإسلام بفترة كبيرة ، لا تقف عند قرنين من الزمان ، بل تتجاوزهما . وظلت فى تطورها وتقدمها حتى بلغت مرحلة من النضوج ، أهَّلتها لأن ينزل القرآن بها . فلُغَةُ قريش هى التى فرضت نفسها ، واستطاعت أن تصرع اللهجات الأخرى من حولها ، وجاء الإسلام فزادها قوة ، وأكسبها حصانة لا تزال إلى اليوم من عوامل ثباتها وحياتها وتقدمها وازدهارها .

• • •

٤

إن للشعر قيمة كبرى منذ وعى العرب الحياة ، ومارسوا نشاطها فجعلوا منه المتعة والحكمة وتسجيل الوقائع والأيام والتاريخ . وقد قرأنا فى كتب الأدب والتاريخ أن ابن عباس كان يستدل على صحة ماجاء فى القرآن بالشعر ، ولم يكن ذلك مما يثير العجب ؛ إذ أن ابن عباس لم يكن يفعل ذلك لفائدة سياسية يقصد إليها من وراء هذا الاستدلال . كما أن ذلك لم يكن لغرض تعليمى ، يمكِّن من العثور على معانى القرآن بشواهدها ـون مشقة ولا عناء .. ونسوق القصة كما أوردتها كتب الأدب ...

جاء فى كتاب الكامل للمبرد [1] أن ابن الأزرق أتى ابن عباس ـــ فجعل يسأله حتى أملَّه ، فجعل ابن عباس يُظْهر الضَّجر . وطلع عمر ابن أبى ربيعة على ابن عباس ، وهو يومئذ غلام ، فسلَّم وجلس . فقال له ابن عباس : ألا تنشدنا شيئا من شعرك ، فأنشده :

---

(١) الجزء الثانى : المكتبة التجارية الكبرى : مصر : ص١٤٥

أَمِنْ آل نُعْم أنت غادٍ فَمُبْكر غداةَ غدٍ أم رائحٌ فمهجِّر ؟

حتى أتَمَّها ، وهى ثمانون بيتا . فقال نافع بن الأزرق : لله أنت يا بن عباس ! أنضرب إليك أكباد الإبل ــ نسألك عن الدين ، فتُعرض ، ويأتيك غلام من قريش ، فينشدك سفها فتسمعه ، فقال : تالله ما سمعت سفها ، فقال ابن الأزرق : أما أنشدك :

رأت رجُلا أمَّا إذا الشمس عارضت
فَيَضْحَى ، وأمَّا بالعشىِّ فيخسر

فقال : ما هكذا قال : إنما قال :

فَيَضْحَى وأمَّا بالعشىِّ فيخصر

قال : أوَ تحفظ الذى قال ؟ فقال ابن عباس : والله ما سمعتها إلا ساعتى هذه ، ولو شئت أن أردها لرددتها ، فأنشده إياها .

وكان أول من قصَّد القصائد ، وذكر الوقائع ، المهلهل بن ربيعة التغلبى فى قتل أخيه كليب وائل . قتلته بنوشيبان . وسمى مهلهلا لهلهلة شعره كهلهلة الثوب ، وهو اضطرابه واختلافه . والعرب تزعم أنه كان يدعى فى شعره ، ويتكثر فى قوله بأكثر من فعله [1] . وكان شعر الجاهلية فى ربيعة ، أولهم المهلهل ، وهو خال امرىء القيس الكندى . والمرقشان ، والأكبر منهما عم الأصغر ، والأصغر عم طرفة ، وسعد بن مالك ، وطرفة بن قميئة ، والحارث بن حلزة ، والمتلمس ، والأعشى ، والمسيب بن غلس .

ثم تحول الشعر فى قيس ، فمنهم النابغة الذبيانى ، ثم آل ذلك إلى تميم ، فلم يزل فيهم إلى اليوم . وكان امرؤ القيس ، ومهلهل خاله ، وطرفة ، وعبيد ، وعمرو بن قميئة فى عصر واحد [2] .

---

(١) طبقات فحول الشعراء ص٩

(٢) المرجع السابق

ويعلل ابن سلام للتزيد والوضع على بعض الشعراء ، بأن العرب لما راجعت رواية الشعر ، وذكر أيامها ومآثرها ، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم ، وما ذهب من ذكر وقائعهم . وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم ، وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار ، وليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة ، ولا ما وضعوا ، ولا ما وضع المولدون ، وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من أهل بادية من ولد الشعراء ، أو الرجل ليس من ولدهم ، فيشكل ذلك بعض الإشكال [1] .

ولم يكن يثق بحماد الراوية ؛ لانه كان ينحل شعر الرجل غيره ، وينحله غير شعره ، ويزيد فى الأشعار ، كما كان يكذب ، ويلحن ، ويكسر .

ولقد تجاوز ذلك إلى ذكر نماذج من الشعر المنحول ، فقُرادُ بن حنش كان من شعراء غطفان ، وكان جيد الشعر قليله ، وكانت شعراء غطفان تُغير على شعره ، فتأخذه وتدَّعيه ، منهم زهير بن أبى سلمى ، ادَّعى هذه الأبيات :

إن الرزيـــة لارزيـــة مثلهـــا ... مـــا تبتغِـــى غطفان يـــوم أضلـــت
إن الرِّكـــاب لتبتغـــى ذا مِـــرَّة ... بجنـوب نخـلَ [2] ، إذا الشهور أحلَّت
ولَنِعْـمَ حشـوُ الدرع أنت لنا إذا ... نهلَـتْ من العلق الرمـاح وعلَّت
ينعَـوْن خيـر النـاس عنـد كريهـة ... عظـمت مصيبتهـم هنـاك وجلَّـت

ويذكر أن النابغة الجعدى خرج من عند عثمان بن عفان ، فدخل على الحسن بن على ، فودعه ، فقال له : أنشدنا من بعض شعرك ؛ فأنشده :ـــ

الحمـــد لله لا شـــريك لـــه ... من لـــم يقلهـــا ، فنفسَـــه ظلمـــا

---

(١) المرجع السابق
(٢) نخل : قرية فى واد لبنى فزارة

فقال له : يا أبا ليلى : ما كنا نروى هذه الأبيات إلا لأمية بن أبى الصلت ، قال : يا بن رسول الله ، والله إنى لأول الناس قالها ، وإن السروق من سرق أميةَ شعره .

ولا تخلو روايات الانتحال من طرافة ، وإن كانت تدل دلالة قاطعة على أن أصحاب الانتحال كانوا على جانب كبير من الدراية اللغوية ، بل وجانب كبير أيضا من الدراية بجوانب شخصية المنحول عليه ، لدرجة أن النقاد كانوا يتأملون شعر حماد فلا يكادون يتبينون الفرق بين القولين .

أنشد حماد بلال بن أبى بردة ذات يوم قصيدة قالها ، ونحلها الحطيئة يمدح أبا موسى الأشعرى ، يقول منها :ـــ

جمَّعـــت من عامـــر فيهـــا ومن جشـــم
ومن تميـــم ، ومن حـــاء ، ومن حـــام
مســـتحقبات رواياهـــا حجـــا فلهـــا
يســـمو بهـــا أشـــعرى طرقـــه ســـامى

فقال له بلال : قد علمت أن هذا شيء قلته أنت ، ونسبته إلى الحطيئة . وإلا فهل كان يجوز أن يمدح الحطيئة أبا موسى بشيء لا أعرفه أنا ولا أرويه ؟ ولكن ، دعها تذهب فى الناس ، وسيِّرها حتى تشتهر ، ووصله [1] .

ومنها أنهم كانوا فى دار أمير المؤمنين المهدى ، وقد اجتمع فيها عدة من الرواة والعلماء بأيام العرب ، وآدابها وأشعارها ولغاتها ، إذ خرج الحاجب ، فدعا بالمفضل الضَّبِّىِّ الراوية ، فدخل فمكث مليا ، ثم خرج إلينا ، ومعه حماد والمفضل

---

(١) أبو الفرج الأصبهانى : **الأغانى** جـ ٦ : مصور عن طبعة دار الكتب : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر : ٨٩

جميعا ، وقد بان فى وجه حماد الانكسار والغم ، وفى وجه المفضل السرور والنشاط . وخرج الخادم معهما فقال : يا معشر من حضر من أهل العلم : إن أمير المؤمنين يعلمكم أنه قد وصل حمادا الشاعر بعشرين ألف درهم ؛ لجودة شعره . وأبطل روايته لزيادته فى أشعار الناس ما ليس منها . ووصل المفضل بخمسين ألفا لِصِدْقه وصحة روايته . فمن أراد أن يسمع شعرا جيدا محدثا فليسمع من حماد ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضل .

فسألنا عن السبب ، فأُخبرنا أن المهدى قال للمفضل لما دعا به وحده : إنى رأيت زهير بن أبى سلمى افتتح قصيدته بأن قال :ـــ

دع ذا وعدِّ القول فى هرم

ولم يتقدم له قبل ذلك قول . فما الذى أمر نفسه بتركه ؟ فقال له المفضل : ما سمعت يا أمير المؤمنين فى هذا شيئا إلا أنى توهمته . كان يفكر فى قول يقوله أويروى فى أن يقول شعرا ، فعدل عنه إلى مدح هرم وقال : دع ذا . أو كان مفكرا فى شيء من شأنه فتركه ، وقال : دع ذا . أى دع ما أنت فيه من الفكر ، وعد القول فى هرم .

فأمسك عنه ، ثم دعا بحماد ، فسأله مثلما سأل عنه المفضل ، فقال : ليس هكذا قال زهير يا أمير المؤمنين ، قال : فكيف قال ؟ فأنشده :ـــ

لمن الديارُ بقُنَّة الحجرِ ... أقوَيْن مذْ حجج ومذ دهر
قفر بمندفع النحائب من ... صفوى أولات الضال والسدر
دع ذا وعد القول فى هرم ... خير الكهول ، وسيد الحضر

قال : فأطرق المهدى ساعة ، ثم أقبل على حماد فقال له : قد بلغ أمير المؤمنين عنك خبر لا بد من استحلافك عليه ، ثم استحلفه بأيمان البيعة ، وكل يمين محرجة ، ليصدقنه عن كل ما يسأله عنه ، فحلف له بما توثَّق منه ، فقال له : اصدُقنى عن حال هذه الأبيات ، ومن أضافها إلى زهير ، فأقر له حينئذ أنه قائلها ، فأمر فيه ، وفى المفضل بما أمر به .

وشخصية حماد الراوية فى الأدب العربى شخصية لها مكانها ، وميزة وجود هذه الشخصية استحضار المواقف بشواهدها الأدبية دونما حاجة إلى الرجوع لمصدر ، فكأنه استحضار من خلال العقل الخازن ، أو (الكمبيوتر) بلغة العصر .

قال الوليد بن يزيد لحماد الراوية : بم استحققت هذا اللقب ؟ فقيل لك الراوية ، فقال : بأنى أروى لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين ، أو سمعت به . ثم أروى لأكثر منهم ، ممن تعرف أنك لم تعرفه ، ولم تسمع به ، ثم لا أنشد شعرا قديما ولا محدثا ، إلا ميزت القديم من المحدث ، فقال : إن هذا لعلم ــ وأبيك ــ كثير ! فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثيرًا . ولكنى أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة ، سوى المقطعات من شعر الجاهلية ، دون شعر الإسلام .

قال : سأمتحنك فى هذا ، وأمره بالإنشاد ، فأنشد الوليدَ حتى ضجر ، ثم وكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ، ويستوفى عليه ، فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهليين ، وأخبر الوليد بذلك ــ فأمر له بمائة ألف درهم [1] .

وثمة مسئولية ثقافية بين هؤلاء المثقفين ــ بلغة عصرهم ، تلك هى الثقة بالنفس ، فلا يضير الواحد منهم ــ إذا سئل ــ أن يقدم زميله على نفسه ، ولم يكن ذلك ليقلل من شأن مكانتهم الفكرية والأدبية : حدَّث أبو عمرو الشيبانى قال : ما سألت أبا عمرو بن العلاء قط عن حمَّاد الراوية إلا قدمه على نفسه ، ولا سألت حمَّادا عن أبى عمرو إلا قدمه على نفسه .

● ● ●

---

(١)أبو الفرج الأصبهانى : **الأغانى** : حـ ٦

٥

وهناك قضية ثارت حول الشعر الجاهلى ، أول وأقدم ما وصل إلينا من شعر التراث ، ألا وهى قضية التشكيك فى سلامة نسبه إلى قائليه . ولئن كانت ظاهرة النحل والوضع والشك ثابتة فى كتب الأدب التى تناولت أجزاء من الشعر الجاهلى ، إلا أنه لا يمكننا إنكار الثوابت من هذا التراث . فإذا أردنا أن نستزيد من الوقوف على نصوص الشك رجعنا إلى **طبقات ابن سعد** ، **والنقائض** ، **والأغانى** ، **وخزانة الأدب** ، **والموشح للمرزبانى** .... **الخ** .. وإنما الذى ينبغى أن نفعله هو تصور القدر الذى دخله النحل ؛ إذ أنه ليس من المعقول أن كل الشعر الجاهلى تعرض لهذا المعول الهادم ، وإلا أصبح أثرا فى ذمة التاريخ .

لقد وقف بعض المحدثين موقف الشطط من هذا التراث الأدبى ، فجماعة من المستشرقين تعتنق الفكرة وتدعو لها ، وجماعة ممن تأثروا بهم من العرب فعلوا ذلك .

ولقد كان من أوائل من أثاروا الشك فى الشعر الجاهلى المستشرق مرجليوث D, S, Margoluouth ، حيث قال : إن هناك مشابه بين لغة الشعر الجاهلى ولغة القرآن الكريم ، وإن الشعر الجاهلى فى معظمه مصنوع ، وإن حمادا هو الذى روى أمر اكتشاف الطنوج التى فيها الشعر الذى مدح به النعمان ، والتى أشار إليها ابن جِنّى فى كتابه (**الخصائص**) ، وحماد متهم بوضع الشعر الجاهلى ونحله . والقصائد التى ذكرها ابن إسحق فى السيرة يقال إنها وضعت وضعا من أجل ذلك الكتاب ، وإن غير هذا من الشعر القديم الذى يرويه أهل الكوفة ، كان من وضع خلف الأحمر ، وإن هذا الشعر الذى نقرؤه على أنه شعر جاهلى إنما نظم فى العصور الإسلامية ، ثم نحله الواضعون المزيفون لشعراء جاهليين .

ومع هذا فقد وجد مرجليوث من يخالفه ، ويرد عليه ، ويرفض آراءه كلية ، إنه شارل جيمس ليال Charles James Lyall الذى أشار فى مقدمته للجزء الثانى من **المفضليات** عام ١٩٢٨م إلى ما أورده مرجليوث فى مقاله «**أصول الشعر**

العربى» الذى نشر فى مجلة الجمعية الملكية الآسيوية يوليو ١٩٢٥م يقول «ليال»:ـــ إن بين ناقل هذا الخبر ، وهو أبو الفرج الاصفهانى ، وصاحب الحديث وهو المفضل الضبى ، ثلاثة رواة فى سند الخبر ، هم : محمد بن خلف وكيع ، عن أحمد بن الحارث الحزاز ، عن ابن الأعرابى . فربما زاد هؤلاء أو أحدهم على هذا الحديث شيئا مما يزيده الرواة . غير أننا لو قبلنا أن هذا الحديث قد قاله المفضل حقا ، وسلمنا بذلك ، فلا بد لنا من أن نذكر أن حمادا كان معاصرا للمفضل ، وأنه ربما كان أصغر منه سنا . وأن المفضل كان من أعلم الناس بالشعر ، وأقدرهم على تمييز صحيحه من منحوله . وأن الرواة من العرب ـــ وهم الذين يزعم أن حمادا قد أفسد ما أخذ عنهم من الشعر ـــ كانوا من قبل أن يفسد حماد روايتهم قادرين على أن يفتحوا خزائن الشعر الذى يحفظونه ، ويرددوه بين يدى المفضل [1] .

ولقد عاد «ليال» لهذا الموضوع فى مقدمته التى قدم بها ديوان عبيد بن الأبرص فذهب إلى أن الاختلاف فى صحة الشعر الجاهلى أمر طبعى ؛ لأنه من المؤكد أن شعر الأعراب لم ينتقل بالكتابة فى الجاهلية العربية ، بل بالرواية ، وكانت القصائد أغلى ما تملك القبيلة ، ومن ثم فقد كانت تحافظ عليها ، وترويها جيلا بعد جيل . وكان الراوى يحتفظ بمذخور الشعر الذى تعيه ذاكرته ، وكان يعتنى بالذاكرة فى العصور التى لم تستخدم الكتابة فيها إلا فى المدن ، ولأغراض خاصة عناية كبيرة ، بحيث كانت أكثر قدرة على الاستيعاب منها فى العصر الحديث .. وليس من الغريب أن تتناقل القصائد بهذه الطريقة قرنين أو ثلاثة .

ومن الطبيعى أن يعترى هذه القصائد بعض التغيير فى أثناء هذا التناقل ، فتستبدل كلمة بكلمة ، أو يسقط بيت ، أو يغير ترتيب بعض الأبيات ، أو توضع عبارة نسبها الراوى . إلا أننا حين نفحص القصائد ذاتها ، نجد فيها دليلا

---

(١) فى **مرآة الشعر الجاهلى** ، للدكتور فتحى عامر ، نشر منشأة المعارف بالإسكندرية

واضحا على شخصية صاحبها : فالمعلقات ـــ مثلا ـــ تعرض كل واحدة منها شخصية متميزة ، تتضح فيها خصائص مبدعها اتضاحا بيِّنًا .

والرأى السرِىُّ فى هذا الموضوع أن نرجع إلى الشعر الجاهلى ذاته ، نستقرئه ونستفتيه ، فنعرض تلك النماذج التى اجتمع عليها رأى الرواة ، وتلك التى تنداح فى مجال الشك فندرسها ، هذه وتلك ، ونخرج بخصائص من خلال موازنات تتقارب أو تتباعد ، ولكنها فى النهاية تثبت لهذا التراث أصالته ، ولمبدعيه جهدهم .

• • •

٦

إن الشعر الجاهلى ـــ بصفة خاصة ـــ مفعم بالحركة والحيوية ، فهو بناء ثابت ، سيطر على شكل الإبداع الشعرى حتى مشارف العصر الحديث . إنه النموذج الذى يرتضيه الأدباء ، ويقترحه النقاد ؛ لأنه انعكاس للتكوين الجمالى العربى ، وتحمل قصيدته مبررات وجودها من الواقع العربى الجغرافى والتاريخى والنفسى .

إن نظرة متأنية للقصيدة العربية الجاهلية تبرز تماسكها ، وترابط أجزائها . ولئن كانت تبدأ بالوقوف على الأطلال ، وتتعرض للأمطار الهاطلة ، وتتناول ذكريات الحبيبة التى كانت تعمرها ، وتستحضر ليلة الفراق واستعدادات الرحيل .... الخ ، إلا أنها تتماسك من خلال تصميم خاص . إن الشاعر يقف أمام الأطلال فيتذكر أيام كانت تموج حركة ، وتمتلىء حياة ، فيتذكر الحبيبة ، ويتذكر مغامرات صباه ، ويتملكه الأسى ؛ لأن الحبيبة تركته دون وداع ، ولكن العربى لا يذعن لنداءات الأسى إذ سرعان ما يستحضر جوانب القوة فيه ، وعناصر المقاومة عنده ، فيلجأ إلى فرسه ، وينطلق نحو الصحراء ، ينسى همومه ويطرد أحزانه :

يقول النابغة :ـــ

فعـــدِّ عمـــا تـــرى ، إذ لا ارتجـــاع له
وانـــم القتـــود على عيرانـــة أجـــد (١)

ويقول طرفة :ـــ

وإنـــى لَأُمْضِـــى الهـــمَّ عنـــد احتضـــاره
بعوجـــاءَ مرقـــالٍ تـــروح وتغتـــدى (٢)

ثم يستعرض مغامراته ويفخز بنفسه ، ويلتفت إلى «أم معبد» ويقول :

فـــإن مـــتُّ فانعينـــى بمـــا أنـــا أهلُـــه
وشُقِّـــى عـــلىَّ الجيـــب يابْنـــةَ معبـــد
ولا تجعلينـــى كامـــرئ ليـــس همُّـــه
كهمِّـــى ، ولا يغنـــى غَنَائـــى ومشـــهدى

ويقول لبيد :ـــ

واحْـــبُ المُجامِـــلَ بالجزيـــل وصَرْمُـــه
بـــاقٍ ، إذا ظلَعَـــتْ ، وزاغ قِوامهـــا
بِطَليـــح أســـفارٍ تَرَكْـــنَ بقيـــةً
منهـــا ، فأحنـــق صلبهـــا وسَنَامُهـــا (٣)

وبعد أن يستعرض لبيد مغامراته ، يلتفت إلى «نوار» ويقول لها :ـــ

---

(١) **انم القتود** : ارفع خشب الرحل ـــ **عيرانة** : ناقة تشبَّه بالعير لصلابتها ـــ **الأجد** : الموثقة الخلق
(٢) **العوجاء** : الناقة التى لا تستقيم فى سيرها لفرط نشاطها . **المرقال** : مبالغة من الإرقال وهو بين السير والعدْو
(٣) **المجامل** : المصانع ـــ **الصرم** : القطيعة ـــ **الظلع** : غمز فى الدواب ـــ **الزيغ** : الميل ـــ **الطليح** : المعيى ـــ **الإحناق** : الضمر

أو لـــم تكـــن تـــدرى نُـــوَارُ بأننـــى
وصَّـــال عَقْـــد حبائـــل جذَّامهـــا
تـــرَّاك أمكنـــة إذا لـــم أرضهـــا
أو يعتلـــق بعـــضَ النفـــوس حمامهـــا

إن معلقة «لبيد» تبدأ بالوقوف على الأطلال ، فيتذكر أن الديار كانت عامرة ، فغادرها أهلها ، ولم يتركوا بعدهم إلا «النؤى والثمام»[1] ، ويستحضر ليلة الرحيل ، ويصف صرير الخيام ، وهوادج النساء ، وتجتاحه الذكرى ، وتكاد تودى به ، فينفضها ويتجه نحو ناقته «كأنها صهباء خف مع الجنوب جهامها»[2] . ثم يسوق صورتين يشبه بهما ناقته ، ويستطرد فى جوانب هاتين الصورتين ، وكأنه يشرح حالته النفسية .

إنها فى صورة تشبه أتانًا يخشى عليها فحلها بقية الفحول ، فيذهب بها إلى مكان بعيد ، ويظلان منعزلين طيلة أشهر الشتاء والربيع . ثم يقبل الصيف فلا يستطيعان الإمساك عن الماء ، ويخرجان من عزلتهما ، يكاد يقتلهما الظمأ ، فيندفعان بحثا عن الماء ، ويثيران غبارا كأنه دخان نار مضرمة ، حتى يصلا إلى عين ماء .

وفى صورة أخرى تشبه بقرة وحشية غفلت عن ولدها ، فضلَّ عنها . وتنطلق فى الصحراء باحثة عنه . وعندما يقبل المساء ويغشى الظلام الدنيا ، ويتساقط عليها المطر ، تختبىء فى جذع شجرة قديم ، حتى إذا أقبل الصباح خرجت مسرعة وهائجة ، تملأ الوهاد صياحا . ولكن ها هى ذى تسمع صوت إنسان يريدها ، فتسرع هاربة ، ويرسل الرماة خلفها كلاب الصيد ، وتدخل البقرة فى معركة تنتصر فيها ، وتقتل «كساب» وتصرع «سخام». إنهما صورتان صادقتان فى تجسيد

---

(١) **النؤى** : نهير يحفر حول البيت لينصب فيه الماء من البيت – **الثمام** : ضرب رخو من الشجر يسد به خلل البيوت
(٢) **صهباء** : سحابة صهباء ــ **الجهام** : السحاب الذى قد أراق ماءه

الحالة النفسية ، فهو مندفع كأنه الأتان التى طال إمساكها عن الماء ، فهى تسرع نحوه . وهو مهتاج وكأنه البقرة التى افترست السباع ولدها ، فهى تطلبه ، وتصيح موجعة حيرى .

ولكن الشاعر العربى ـــ كونه فارسا ـــ يخرج من تلك الحالة منتصرا ، لم تحطمه الانفعالات . إن الأتان تصل فى النهاية إلى تلك العين البرية ، والبقرة تنتصر فى النهاية على كساب وسخام ، وكذلك الشاعر يعود ـــ بعد أن تطهرت نفسه ـــ إلى حبيبته «نوار» فيستعرض بطولته ، ويبرز تماسكه أمام عاديات الزمان .

إن المعلقات جميعها نسيج متشابه فى البناء الفنى ، تسيطر عليها روح الفارس ، ويشيع فيها جو الفروسية . إن فارسها منفعل لأن ثمة شيئا قد أثاره ، فينطلق فى الصحراء مغامرا ، لكى يسيطر على هذا الانفعال ، ويثبت وجوده وذاته أمام الآخرين . وهكذا فإن المعلقات تتميز بعنف الحركة ، وتوتر النفس ، حتى فى مكوناتها الجزئية .

إن المعلقات تمثيل للداخل . إنها قفزات ، ولكن بينها روابط ، إن الزمن فيها كما وصف برجسون [1] : نهر تتوالى قطراته ، أو موسيقى تتوالى نغماتها ، فلا نستطيع أن نحدد تماما بداية القطرة أو النغمة . إن النهر دائما يبدِّل ثيابه ؛ ولذا فإنك لا تنزل النهر مرتين على حد تعبير هيراقليطس . وهذا هو الحال مع الشاعر العربى . إنه يتعامل مع رءوس الأقلام ، مع الأشياء وكأنها سباع غرقى . إنه يقفز من موضوع إلى موضوع ، ولا يعنيه من هذا ولا ذاك ، إلا تلك الدلالة التى تتصل بداخله فتضيئه ، وكأنها لمع برق [2] .

● ● ●

---

(١) الفلسفة الفرنسية ، ص ١٢٥

(٢) الوسطية العربية مذهب وتطبيق ، للدكتور عبدالحميد إبراهيم

٧

إن الطبيعة العربية تقدم الشيئين متجاورين ؛ ولذا فإن الشاعر العربى لا يستبطن ذاته ، ويظل أسيراً لها ، بل إنه يطل على الخارج فى حركة متعادلة مع تجربته النفسية . إن لوحات الشعر الجاهلى ، بل الشعر العربى منتزعة من البيئة ؛ ولذا فإنها لوحات وصفية ، لا تميل إلى الغموض والتداخل والتعقيد ، تأتى واضحة ، وضوح الشمس ، مكشوفة انكشاف الصحراء .

يقول امرؤ القيس عن حبيبته :ـــ

وفـــرعٍ يزيـــن المتـــن أســـودَ فاحـــمٍ
أثيـــث كقِنْـــوِ النخـــلة المتعثـــكل
غـــدائره مستشـــزرات إلـــى العـــلا
تَضـــلُّ العقـــاصُ فى مثنًّـــى ومرسَـــل
وكشـــح لطيـــف كالجـــديل مُخصَّـــر
وســـاق كأُنبـــوب السَّقِـــيِّ المـــذلل

ويقول لبيد عن فرسه :ـــ

حتـــى إذا ألْقـــت يَـــدا فى كافـــر
وأجـــنَّ عـــوراتِ الثغـــور ظلامُهـــا
أسْهَلْـــتُ وانتصبـــتْ كجـــذعِ مُنيفَـــةٍ
جـــرداء يَحصُـــرُ دونَهـــا جُرَّامُهـــا

وهذه المأخوذات من المعلقات الجاهلية ، تكشف لنا الصلة بين حديث الشاعر عن الأطلال ، ووقوفه عليها ، وبين امتطاء الدواب .

إن تأمل الأطلال يثير الشجن ، ويقلّب الأحزان ، ويريد الشاعر حينئذ أن ينسى ، فيعتلى صهوة الجواد ، وينطلق فى الممتد المطلق ـــ الصحراء ، وينغمس فى

معارك الصيد . وهو لهذا يدخل فى شعره عبارات دالة ، عندما يقول : دع كذا أو قاوم الحزن (بطليح أسفار) ... الخ .

ويكاد تعليق الزوزنى على قول لبيد بعد ذكريات الأطلال :ـــ

بـــل ما تذكَّـــر من نـــوار وقـــد نـــأت
وتقطعـــــت أســـــبابها ورمامهـــــا

أن يكون إشارة إلى ذلك فى قوله :ـــ «ثم أضرب عن صفة الديار .. وأخذ فى كلام آخر من غير إبطال لما سبق ، «بل» فى كلام الله تعالى لا تكون إلا بهذا المعنى ؛ لأنه لا يجوز منه إبطال كلامه وإكذابه» .

ولقد كانت ـــ مع هذا ـــ لكل شاعر شخصيته المتميزة ، التى يستقل بها عن أقرانه . فإننا لا نستطيع أن نقول بأن امرأ القيس كان صورة مكررة ، أو عبيد بن الأبرص كان ظلا لعلقمة الفحل . ونستطيع أن نؤكد ذلك من خلال استفتاء الأشعار ، لنرى منها أن لكل شاعر نفسه وعاطفته وقضاياه وتجاربه ، مما كان يبرز فى النتاج الشعرى لكل منهم .

إن الشاعرين ليختلفان فى المعانى والأساليب ، ويتمايزان فى الصور والأخيلة ، والألفاظ والتراكيب ، مع أنهما من قبيلة واحدة ، ويعيشان حياة متقاربة ، وقد يكونان على موقف واحد من المواقف المشتركة بينهما ، على ما سنرى عند كل من عمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلِّزة ، وكلاهما من ربيعة ، وأولهما من تغلب ، وثانيهما من بكر . ويزداد الأمر جلاء ووضوحا إذا علمنا أن طرفة بن العبد من بكر وائل ، كما كان الحارث بن حِلِّزَة . ومع هذا فقد كانت بينهما فوارق شعرية تؤكد هذا الذى وصلنا إليه .

• • •

استفتاء النصوص

عمرو بن كلثوم

١

أحيط هذا الشاعر فى نشأته بكثير من الخرافات ، فقد جاء فى كتاب الأغانى[1] :ــ أن مهلهلاً لما وُلدت له ليلى ، أمر بوأدها على عادة بعض العرب فى وأد بناتهم ، ثم نام فأتاه آت ، وتنبأ بأن ابنته هذه ستلد ابناً يكون له شأن عظيم . فلما أصبح سأل عن ابنته ، فقيل : وئدت . فكذب الخبر ، وألح فى إظهار ابنته ، فأظهرت له ، فأمر بإحسان غذائها ، ثم تزوجت كلثوماً فما زالت ترى فيما يرى النائم من يأتيها فيخبرها عن ابنها بالأعاجيب ، حتى ولدته ونشأته . قالوا : وقد ساد عمرو بن كلثوم قومه ، ولما يتجاوز الخامسة عشرة ، ومات وقد تجاوز المائة .

وتقول الروايات إن عمرو بن كلثوم قتل ملكاً من ملوك الحيرة ، هو عمرو بن هند ، وذلك حين بغى عمرو بن هند ، وطمع فى استخدام أم عمرو بن كلثوم –

---

(١) **الأغانى** : جـ١١ ط / دار الكتب المصرية / ص ٥٢ وما بعدها .

ليلى بنت مهلهل – لتناول أمه – أى عمرو بن هند – طبقاً ، فأجابتها ليلى : لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها . وصاحت واذُلاَّه ! يالَتَغْلِب ! وكان ابنها عمرو فى قبة الملك ، فسمع صوت استغاثتها ، فوثب إلى سيف معلق فضرب به الملك ، ونهضت بنو تغلب ، فنهبوا قبة الملك ، وعادوا إلى باديتهم[1] .

وأيا كانت الروايات والمبالغات التى سيقت عند الحديث عن حياته ، فإن مايهمنا هو الحديث عن معلقته التى أشار إليها محمد بن سلام وكثير من الأدباء والنقاد .

إنه شاعر مولع بالخمر والشراب ، يحبها عشقاً وهياماً ، فهى فى وصفه إياها رقيقة المزج ، تشبه فى صفرتها صفرة الزعفران ، إنها تجذب البخيل الشحيح إذا دارت عليه كئوسها ، فيبذل فى سبيلها ماله ، ويسخو على غير عادته .

ثم ينتقل إلى حديث شهى مع صاحبته ، يمزجه بالفخر ، أو يمزج الفخر به . يقول :—

قفى قبل التفرق ياظعينا[2] نُخَبِّرْكِ اليقين وتُخبرينا
بيوم كريهة ضرباً وطعناً أقرَّ به مواليك العيونا
قفى نسألك هل أحدثت صرما لوشك البين أم خنت الأمينا
تُريك إذا دخلت على خلاء وقد أمِنَتْ عيون الكاشحينا
ذراعى عيطل أدماءُ بكر تربعتِ الأجارعَ والمتونا
وثديا مثل حق العاج رَخْصا حَصَانا من أكف اللامسينا
ومَتْنى لَدْنة طالت ولانت روادفها تنوء بما يلينا
تذكرت الصبا واشتقت لما رأيت حمولها أصلا حدينا

---

(١) الشعر والشعراء جـ١ / ٢٣٤ وما بعدها .

(٢) الظعائن : النساء فى الهودج ، واحدتها ظعينة .

وأعرضت اليمامة واشمخرت كأسياف بأيدى مصلتينا
فما وجدت كوجدى أم سَقْب أضلَّته فرجَّعت الحنينا
ولا شمطاء لم يترك شَقَاها لها من تسعة إلا جنينا
وإن غدا ، وإن اليوم رهن وبعد غدٍ ، بما لا تعلمينا

إنه يطلب إلى صاحبته أن تقف معه ، يتحاكيان ، قبل أن يفرق بينهما الموت ، يذكران ذلك اليوم البغيض ، الذى نشبت فيه الحرب بين أهلها وأهله . ويتساءل عما إذا كان هذا اليوم قد أثر فى حبها له ، أم أنها لا تزال على حب له .

ثم يلتفت إلى المخاطب ، وكأنه يحدث حركة جديدة ، تخرجه من رتابة الحديث ، يلتفت إليه التفاتة الآمل المحب ، ويتحدث عن محبوبته . وهنا تتجسد ملامحها مع حالته النفسية ، والجو الذى يراها فيه . فهى طويلة العنق ، لها ذراعان بضَّتان ، وثدى كَحُقِّ العاج فى بياضه واستدارته ، مصون من أكف العابثين ، لها جانبان فارعان ، وأرداف لينة . ومن ثم فإنه يحن إلى صباه ، ويرق قبله ، عندما يرى الإبل تحمل الأثقال والأمتعة ، تقطع بها أرض الصحراء ، فتبتعد عنه ، فيتبين اليمامة أمامه ، كما تتبين السيوف إذا انتزعت من أغمادها ، فيشتاق لذلك ، إذ يرى موضعها الذى تنتهى إليه ، فيشتد حنينه وشوقه ، وتعظم حيرته ، ويغرق فى حزن عميق . إن الذى مكَّنه من كل هذا التأمل والخيال وجود حبيبته فى خلوة من الرقباء ، فهو يتأملها ويرى مابعد الأشياء .

ولكن رحيل حبيبته يؤثِّر فيه أيما تأثير . إن حزنه لشديد ، أعظم من حزن الناقة التى ضل ولدها ، والمرأة التى فقدت أولادها . إنها الصحراء بنوقها وحروبها تَخلق المشابه عند التصوير . ومن أين يأتى الشاعر بالصور إلا من بيئته وحياته التى يحياها .

أما الفكرة الثالثة فهى الفخر ، وهو الغرض الأصلى فى بناء القصيدة فيفيض فيه مستوعبا نصف حجم المعلقة ، ثم يذكر قصة أمه وأم عمرو بن هند ، ويعد المناقب والسجايا الكثيرة التى يتميز بها قومه على أعدائهم يقول فى ذلك :ـــ

أبا هند(١) فلا تعجل علينا ... وأنظرنا(٢) نخبرك اليقينا
بأنا نورد الرايات بيضا ... ونُصدِرهن حمرا ، قد روينا
وأيام لنا غُرٍّ طوال ... عصينا المَلْك فيها أن ندينا
وسيد معشر قد توجوه ... بتاج الملك يحمى المحجرينا(٣)
تركنا الخيل عاكفة عليه ... مقلدة أعنَّتها صُفونا
وقد هرَّت كلاب الحى منا ... وشذبنا(٤) قتادة من يلينا(٥)
متى ننقل إلى قوم رحانا ... يكونوا فى اللقاء لها طحينا(٦)
يكون ثفالها(٧) شرقى نجد ... ولهوتها(٨) قضاعة أجمعينا
وإن الضغن بعد الضغن(٩) يفشو ... عليك ، ويخرج الداء الدفينا
ورثنا المجد ، قد علمت معد ... نطاعن دونه حتى يبينا
ونحن إذا عماد الحى خرَّت ... عن الأحفاض(١٠) نمنع من يلينا

---

(١) **أبو هند** : عمرو بن المنذر
(٢) انتظرنا
(٣) **المحجرون** : الذين قد ألجئوا إلى المضيق
(٤) فرَّقنا
(٥) **من يلينا** : أى من ولى حربنا . ويجوز أن يكون معناه : من يقرب منا من أعدائنا .
(٦) شيئا يطحن أى تكون أجسامهم مادة للطحن
(٧) **الثفال** : جلدة أو خرقة تجعل تحت الرحا يسقط عليها الطحين
(٨) **اللهوة** : القبضة تلقى فى الرحا
(٩) **الضغن** : الحقد الذى يخفى ولا يظهر إلا بالدلائل .
(١٠) **الأحفاض** : واحدها حفض وهو متاع البيت

ندافع عنهمُ الأعداء قدما [1] ونحمل عنهمُ ماحملونا [2]
نطاعن ماتراخى الناس عنا ونضرب بالسيوف إذا غشينا [3]
بسُمْر من قنا الْخطِّىِّ لَدْنٍ [4] ذوابل [5] أو ببيض يعتلينا
تشق بها رءوس القوم شقاً ونختلب الرقابَ فتختلينا
تخال جماجم الأبطال منها وسوقا بالأماعز [6] يرتمينا
نجذُّ رءوسهم فى غير بِر فما يدرون ماذا يتقونا
كأن سيوفنا فينا وفيهم مخاريقٌ [7] بأيدى لاعبينا
كأن ثيابنا منا ومنهم خُضبْن بأرجوانٍ أو طُلينا
إذا ماعىَّ بالإسناف [8] حى من الهول المشبَّه أن يكونا
نصبنا مثل رهوةَ [9] ذاتَ حد محافظة ، وكنا السابقينا
بفتيان يرون القتل مجداً وشيبٍ فى الحروب مجربينا
حُدَيَّا [10] الناس كلهمُ جميعاً مقارعةً بنيهم عن بنينا
فأما يوم خشيتنا عليهم فنمعن غارة متلبِّبينا [11]
برأسٍ من بنى جشم بن بكر تدق به السهولة والحزونا

---

(١) **قدماً** : بكسر القاف أى قديماً وقدما بضم القاف أى تقدما
(٢) **حملونا** : جنوا علينا من حمالة أو غيرها
(٣) **غشينا** : دنا بعضنا من بعض
(٤) **لدن** : لينة
(٥) **ذوابل** : فيها بعض اليبس
(٦) **الأماعز** : جمع أمعز وهى الأرض الصلبة الكثيرة الحصى . **والوسوق** جمع وسق وهو الحمل ويروى وسوقاً جمع ساق
(٧) **المخاريق** : مامثل بالشىء وليس به ، نحو مايلعب به الصبيان يشبهونه بالحديد
(٨) **الإسناف** : التقدم فى الحروب
(٩) **رهوة** : جبل
(١٠) **حديا الناس** : كما تقول واحد الناس . وقيل معناه : نحن أشرف الناس
(١١) **التلبب** : التعزم بالسلاح

وإذا كنا قد تحدثنا عن الوحدة البنائية أو التركيبية فى النص الجاهلى فإننا لانكاد نلمس ذلك هنا إلا بكثير من التعمل ، وعلى النسق الذى سبق أن ذكرناه . إن الشاعر هنا يذكر كل شيء ، فالقتل عنده يتعدد ، والدم يسيل أكثر من مرة ، والضرب والطعن يستغرق معظم مايقول ، وجزُّ الرءوس يطالعك فى أكثر من بيت ، وجماجم الأعداء تتطاير باستمرار . أما ظاهرة التكرار عند الشاعر ، فقد جاءت رائعة موفقة ؛ لأنه تكرار أسلوبى . يكرر جملاً بعينها لغرض بلاغى ، أو يكرر كلمات لهذا الغرض نفسه ، مما يولدِّ نوعا من الموسيقى الداخلية الواضحة ، تشجى السمع فى هدوء . إنه يقول :ـــ

بأى مشيئة عمرو بن هند ... تطيع بنا الوشاة وتزدرينا[1] ؟
بأى مشيئة عمرو بن هند ... نكون لقيلكم فيها قطينا[2] ؟
تهدَّدْنا ، وأَوْعِدْنا رويدا ... متى كنا لأمك متقوينا ؟
فإن قناتنا ياعمرو أعيت ... على الأبطال قبلك أن تلينا

إننا هنا أمام أسلوب بلاغى إنشائى ، يحمل دلالات فنية متنوعة هى الاستنكار أو التحقير أو التحدى . ولقد زاد التكرار هذه الدلالات روعة فى الأداء ، وجعلها مصحوبة بلون من الموسيقى التصويرية الملائمة .

---

(١) **تزدرينا** : فيها ضرورة قبيحة . والضرورة التى فيه إنما يقال : زريت الرجل إذا عبت عليه فعله . وأزريت به : إذا قصرت به . فإذا لم يستعمل فى الثلاثى إلا بالحرف كان أجدر ألا يستعمل فى (افتعلت منه) ، إلا أنه يجوز – على قبح فى الشعر – أن تحذف الحرف وتعديه فى بعض المواضع ، وكأنه جازها هنا لأنه قال قبله « تطيع بنا » . ويروى « وتزدهينا » وفيه من الضرورة مافى الأول ؛ لأنه يقال : زها علينا فلان إذا تكبر ، وزهاه الله إذا جعله متكبراً أ.هـ التبريزى . فى شرح القصائد العشر . تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ص ٤٠٧ وخطأ محقق فى الصفحة نفسها من وجهين : الأول أن لسان عمرو صاحب المعلقة هو الحجة على صحة الاستعمال . والثانى أن نصوص حملة اللغة متضافرة على أن (ازدرى) ورد متعديا . قال صاحب الأساس : أزريت به : قصرت به وحقرته ، وزريت عليه فعله : عبته وعنفته ؛ وازدرته عينى : احتقرته . وقال صاحب اللسان : وازدريته أى حقرته . وفى الحديث : فهو أجدر ألا تزدرى نعمة الله عليكم .

ويقال : ازدهاه الطرب والوعيد : استخفه . ورجل مزدهى – على صورة اسم المفعول – أخذته خفة من الزهو أو غيره . وازدهاه على الأمر : أجبره .

(٢) **قطينا** : المراد العبيد والخدم

وإذا كان التكرار ظاهرة بينة فى تلك القصيدة ؛ فإننا – لا شك – نحس بجرسها الظاهر ، ووقدة الانفعال ، وعمق التأثير ، والاستجابة النفسية لعصبية القبيلة التى درج عليها هؤلاء الشعراء الجاهليون ، وصاغوا حياتهم من خلالها .

فالشهامة والإباء ، والصرامة والقوة ، كل تلك الصفات من سجاياهم التى نشئوا بها ، فأصبحت من خصائص وجودهم . فإذا تحدث أحدهم عنها فكأنه إنما يستجيب لداخله فى حرارة وصدق ، ومن ثم يأتى تعبيره أخّاذاً ، يقع من الوجدان والعواطف موقعاً مؤثراً .

أما الظاهرة الموسيقية التى ساعد عليها بحر الوافر ، وقافية النون المفتوحة التى كانت تستهوى الشاعر فلا يلبث أن يعود إليها تلقائياً ، فقد كان لها أثرها فى الإيقاع ؛ لأنه يمثل استجابة لصوت الشاعر الداخلى ، الذى يهتز على إيقاع الفخر ، وإثارة الأمجاد ، والتغنى بالعظماء ، وتسجيل جلائل الأعمال يقول :ـــ

وقد علم القبائل من مَعَدٍّ ... إذا قبب بأبطحها بنينا
بأنا العاصمون بكل كحل[1] ... وأنا الباذلون لمجتدينا[2]
وأنا المانعون لما يلينا ... إذا ما البيض زايلت الجفونا
وأنا المنعمون إذا قدرنا ... وأنا المهلكون إذا ابتلينا
وأنا الشاربون الماء صفوا ... ويشرب غيرنا كدراً وطيناً

إن طبيعة الشاعر هى التى تخرج به عن مجال الحقيقة إلى رحابة الخيال ، الخيال المبدع الذى يصور ماتحتاج إليه العاطفة ، وما يستهلمه الشعور . وكل ذلك دليل على صدق الشعر ، عندما يحمل رنيناً نفسياً صادقاً ، يكشف عن تجربة الشاعر مع نفسه ومع الآخرين . أصغ إذن :ـــ

---

(١) **كحل** : سنة شديدة
(٢) **المجتدى** : هو الطالب

لنا الدنيا ومن أمسى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا
إذا ما الْمَلْكُ سام الناس خسفا أبينا أن نقر الخسفَ فينا
نسمَّى ظالمين ، وما ظَلَمْنا ولكنا سنبدأ ظالمينا
إذا بلغ الفطامَ لنا صبيٌّ تخر له الجبابر ساجدينا
ملأنا البر حتى ضاق عنا وظهْرَ البحر نملؤه سفينا
ألا لايجهلنْ أحد علينا فنجهلَ فوق جهل الجاهلينا

إن الوهلة الأولى فى قراءة هذا الشعر تشير إلى المبالغة فيه ، ولكنها مبالغة تدخل فى باب الصدق الفنى ، والاستغراق فى التجربة ، فهى شىء من داخل النفس المتخيلة ، ومن داخل التجربة نفسها ؛ لأن الحياة كانت قاسية فى طبيعتها الخارجية ، وفى طبيعة العلاقات الاجتماعية ، كما هو معروف بين بكر وتغلب .

يقول أبو عمرو الشيبانى : كانت بنو تغلب بن وائل من أشد الناس فى الجاهلية . وقالوا : لو أبطأ الإسلام قليلاً لأكلت بنو تغلب الناس . ويقال : جاء ناس من بنى تغلب إلى بكر بن وائل يستسقونهم ، فطردتهم بكر للحقد الذى كان بينهم ، فرجعوا ، فمات سبعون رجلاً عطشاً .

ويذكر شارح القصائد العشر قصة نقلها عن بعض كتب الأدب ، تكشف عن موقف عمرو بن كلثوم ، وأنه كان شديد الحماس لهم . وموقف الحارث بن حلزة من قومه ، وأنه كان شديد الحماس لهم ، مما يلقى ضوءاً على سر هذه المبالغات فى الشعر ، والتى تسود غرض الفخر بصفة خاصة .

ويجدر بنا أن نروى قصة طريفة فى هذا المقام : وهى أن بنى تغلب اجتمعوا لحرب بكر بن وائل ، واستعدت لهم بكر ، حتى إذا التقوا ،كره كل صاحبه ، وخاف أن تعود الحرب بينهم كما كانت ، فدعا بعضهم بعضاً إلى الصلح ، فتحاكموا فى ذلك إلى الملك عمرو بن هند . فقال عمرو : ماكنت لأحكم بينكم حتى تأتونى بسبعين رجلاً من أشراف بكر بن وائل ، فأجعلهم فى وثاق عندى . فإن كان الحق لبنى

تغلب دفعتهم إليهم ، وإن لم يكن لهم حق خليت سبيلهم ، ففعلوا ، وتواعدوا ليوم بعينه يجتمعون فيه . فقال الملك لجلسائه : من ترون تأتى به تغلب لمقامها هذا ؟ فقالوا : شاعرهم وسيدهم عمرو بن كلثوم ، قال : فبكر بن وائل ؟ فاختلفوا عليه ، وذكروا غير واحد من أشراف بكر بن وائل .

فلما أصبحوا جاءت تغلب يقودها عمرو بن كلثوم حتى جلس إلى الملك ، وقال الحارث بن حلزة لقومه : إنى قد قلت خطبة ، فمن قام بها ظفر بحجته ، وظهر على خصمه ، فرواها ناساً منهم ، فلما قاموا بين يديه لم يرضهم .

فحين علم أنه لا يقوم بها أحد مقامه قال لهم : والله إنى لأكره أن آتى الملك ، فيكلمنى من وراء سبعة ستور ، وينضح أثرى بالماء إذا انصرفت عنه – وذلك لبرص كان به – غير أنى لأرى أحداً يقوم بها مقامى ، وأنا محتمل ذلك لكم . فانطلق حتى أتى الملك ، فلما نظر إليه عمرو بن كلثوم قال للملك : أهذا يناطقنى وهو لايطيق صدر راحلته ؟ فأجابه الملك حتى أفحمه ، وأنشد الحارث قصيدته :ـــ

آذنتـــا بِبَيْنِهَـــا أســـمـــــاء رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منـه الثـواء

فلما سمعتها هند قالت : تالله مارأيت كاليوم قط رجلاً يقول مثل هذا القول ، يكلم من وراء سبعة ستور . فقال الملك : ارفعوا ستراً ، ودنا . فما زالت تقول ويرفع ستر فستر حتى صار مع الملك على مجلسه ، ثم أطعمه من جفنته . وأنشد بعد ذلك عمرو بن كلثوم قصيدته .

ولئن كنا نلمح شيئاً من التزيُّد فى هذه القصة ، فإن ذلك كان طبيعة مايشغلون به أنفسهم من حب العصبية ، والإشادة بها ، والتفانى فى سبيلها . ولكن الذى لامِرْية فيه أنها من إبداع عمرو ، وليست من إبداع راوية ، أو شاعر آخر غيره .

طَرَفــة بن العبـد

٢

كان طرفة من بكر وائل ، ترعرع فى بيئة شاعرة ، فخاله المتلمس ، شاعر ، وعمه ربيعة بن سفيان (المرقش الأصغر) شاعر ، وأخته الخرنق شاعرة .

ولقد ظهرت شاعرية هذا الشاعر مبكرة ، شأن الموهوبين ، الذين يتعلقون بالكلمة النابضة ، ويتفاعلون مع البيئة تفاعلاً عاطفياً تترجمه الكلمة ، والتعبير ، والصورة .

حين مات أبوه ، كفله أعمامه ، إلا أنهم ضيقوا عليه ، فهضموا حق أمه البعيدة عن قومها ، فثارت نفسه ، ونمت عنده بذور التمرد والرفض ، فخاطبهم :ـــ

ماتنظرون بحق وردة فيكمُ ... صغر البنون ، ورهط وردة غُيَّب
قد يبعث الأمرَ العظيمَ صغيرُه ... حتى تظلَّ له الدماءُ تصبَّب
والظلم فرق بين حيَّىْ وائل ... بكر تساقيها المنايا تغلب
والصدق يألفه الكريم المرتجى ... والكِذْب يألفه الدنىء الأخيب
أدوا الحقوق تَفِرْ لكم أعراضُكم ... إن الكريم إذا يحرَّب يغضب

لقد قذف بذاته فى ملذات الحياة ، يعبُّ منها دونما حرج ، فلها وسَكِرَ ولعب مبذراً حتى السَّرَف ، مكابراً لايريد الخضوع ، مما اضطرَّ قومه إلى طرده ، فركب ناقته يضرب فى أجواز الصحراء ، حتى ذاق مرارة الاغتراب والتشرد ، فرجع إلى عشيرته منتويا أن ينقاد لأقطابها ، ويركن إلى الدعة بين الأهل والصحاب ، حتى اضطرته الحال أن يرعى إبل أخيه لأبيه ، إلا أن قول الشعر كان يشغله حتى ضلت الإبل ، فطالبه بها أخوه ، فلجأ إلى ابن عم له اسمه مالك ، فخذله ولامه ، فنصره سيدان من قومه كان قد امتدحهما ، فرد الإبل إلى أخيه ، وسرعان ماعاد إلى حياته اللاهية ، إرضاء لشبابه ، واستجابة لرفضه ، غير آبهٍ لزجر أو نصيحة .

وطاف البلاد ، حتى بلغ بلاط الحيرة ، حيث كان خاله المتلمس ، وصهره عبد عمرو بن بشر ، فأكرمه الملك عمرو بن هند ، وأدناه من مجلسه ، وأغدق عليه . إلا أن لسان الشاعر لم يتورّع عن هجاء صهره ، لتصرف حدث بينه وبين زوجه « أخت الشاعر » فهجاه بقوله :ـــ

ولا خير فيه غير أن له غنى وأن له كشحاً إذا قام أهضما (١)

وأوغرت الوشايات والأحقاد صدر الملك عليه ، فأضمر له فى نفسه شراً ، وبيَّت له أمراً – على ماتروى كتب الأدب – انتهى بموته .

إننا أمام شاعر ذى بنوغ مبكر ، شغل زمانه ومكانه وهو صغير ، وطارت شهرته فى الآفاق حتى شغلت بلاط ملوك الحيرة ، فاستقدموه وقرَّبوه ، ولكنهم لم يسلموا من لسانه ، كما لم يسلم غيرهم .

بدأ معلقته بالوقوف على الأطلال ، كغيره من الشعراء الجاهليين ، الذين كانوا يسترجعون عندها الذكريات ، ويتأملون آثار الماضى .

وأطلال خولة من جنس هذه الأطلال فطرفة يقول :ـــ

لخولة أطلال ببرقة ثهمد ظللت بها أبكى ، وأبكى إلى الغد
وقوفا بها صحبى على مطيهم يقولون : لاتهلك أسى وتجلد

وينتقل من الأطلال إلى مركب المالكية ، وهى امرأة من بنى مالك بن ضبيعة بن قيس ، فيشبه الإبل وعليها الهوادج بالسفن العظام ، وهذه السفن العظام التى تشبهها الإبل من قبيلة عدولى ، أو من سفين ابن يامن ، يجرى بها الملاح تارة على استواء واهتداء ، وتارة يميل بها عن سنن الاستواء والاهتداء . وكذلك حُداة الإبل ، تارة يسوقونها على استقامة الطريق ، وتارة يميلونها عنها إلى مكان قريب . وتتواصل الصور

---

(١) **الأهضم** : النحيف اللطيف . وفى هذا القول تهكم ؛ لأن عبد عمرو بن بشر كان سمينا ، فوصفه الشاعر بلطف الخصر .

الخيالية فى إبداع : فالإبل وعليها هوادج النساء سفن عظام . والسفن وهى تشق عباب اليم تشبه لعبة المفايلة ،وهى أن يجمع التراب فيدفن فيه شيء ، ثم يقسم التراب نصفين ، ويسأل عن الدفين فى أيهما هو ؟ فمن أصاب ظفر ، ومن أخطأ قمِر .

كان هذا الشاعر يلتقط الصورة من أعماق البيئة التى درج عليها . من البحر واليابسة ، من تقاليد الكبار ، ولعب الصغار ، وهو مامكنه من أن يصنع صلة مبدعة بين التشبيه والتشبيه .

إنها ظاهرة فنية كانت تستهويه . إنه يشبه حبيبته بعد ذلك بالغزال فى كحل عينيها ، وسمرة شفتيها ، وحسن قوامها . ثم يذهب إلى أن هذه الظبية خذلت أولادها ، واندمجت فى قطيع من الظباء ، يرعى فى أرض شجراء ،يتناول الأراك ، وترتدى أغصانه ؛ وذلك لأنها تمد عنقها إلى الثمر . وفى هذا تشبيه لعنق الحبيب فى الحسن والطول .

ويمتد هكذا بخياله إلى أن يصف ثغر حبيبته مشبها إياه بلمعان البرق عند الافترار والابتسام . أو يشبه الأقحوان المنور ، وقد زاده ضوء الشمس بياضاً وبريقاً ، ووجهها قد كسته الشمس ضياء وجمالاً ، فبدأ كامل النضارة والنقاء .

إنه يستثمر البيئة فى تشبيهاته واستعاراته ، حيث يمنحها الحركة والحيوية :ـــ

كأن حدوج(١) المالكيـــة غُدْوةً ... خلايا سفينٍ بالنواصب من دَدِ
عَدَوْلِيَّةٌ(٢) ، أو من سفين ابن يامنٍ ... يجورُ بها الملاح طورًا ويهتدى
يشق حَبابَ الماء حيزومُها(٣) بها ... كما قسم التربَ المُفايل(٤) باليد
وفى الحى أحوى(٥)،ينفض المردَ، شادنٌ(٦) ... مُظَاهِرُ سِمْطَىْ لؤلؤٍ وزبرجد

(١) **الحدوج** : مراكب النساء . واحدها حدج . والمالكية من بنى مالك بن قيس بن ثعلبة
(٢) **عدولية** : منسوبة إلى جزيرة من جزائر البحر يقال لها عدولى بعُمَان . **وابن يامن** : ملاح من أهل هجر
(٣) **الحيزوم** : الصدر
(٤) **المفايل الذى يلعب لعبة الصبيان الأعراب وهى تراب يكومونه ويخبئون به خبيئاً يبحثون عنه**
(٥) **أحوى** : ظبى
(٦) **الشادن** : الذى تحرك وكاد يستغنى عن أمه من الظباء

خذولٌ تُراعِى رَبْرَباً بخميلة تناولُ أطرافَ البرير وترتدى
وتبسم عن ألمىَ[1] كأن مُنَوِّرا تخلَّل حُرَّ الرمل ظاهرُه ندى
سقته إياةُ[2] الشمس إلا لِثَاتِه أُسِفَّ ، ولم تكدِمْ عليه بإثمد
ووجهٌ كأن الشمس حلَّت رداءها عليه نقىُّ اللون لم يتخدَّد

تأمل هذه الصلة الفنية بين موكب السفر للنساء على هوداجهن ، وموكب السفن حينما تشق عباب الماء . وتأمل أيضاً هذه الحركة النابضة بين الاستقامة والانحناء ، وكذلك عين المرأة والغزال ، وجيدها وجيده . فإذا انتقلنا إلى وصف الناقة ، وجدت كلمات تتوارد فى وصف النوق ، لانسمعها فى مجال الغزل ، ولا تستخدم فى مجال الأطلال . إن لكل مقام مقالاً .

وقد يثير أحد القراء سؤالاً : ماهى الألفاظ التى لم تعد تعنينا اليوم ؟ والأمر يحتاج إلى إنسان يعتز بتراثه ، ويدرك أنه الوصلة بين عالم الأمس وعالم اليوم ؛ لأن الإنسان لايستطيع أن يستغنى عن مسيرته التاريخية ، والكشف عنها إنما يأتى من الوقوف على معانى الاستخدامات اللغوية وإيحاءاتها .

إن الإغراب لايقف عند حدود الشعر الجاهلى ، بل يمتد إلى شعراء من أمية وبنى العباس . ولعل الأمر يكون أكثر جلاء إذا علمنا أن هذه الظاهرة قد تمتد إلى الشعر الحديث . إن بعض شعر شوقى يحتاج إلى إلمام لغوى وفنى ، لابد أن تصحبنا فيه بعض المعاجم . بل إن الأمر – أيضاً – يمتد إلى عصرنا هذا مع شعرائنا الذين استثمروا الاستخدامات النفسية ، والإيحاءات الأسطورية . فهل ننكر على المبدع فى عصر يأتى فيما بعد ، هذه الاستخدامات ؟ إن الثقافة اللغوية والتاريخية والنفسية والأسطورية مطلوبة لفهم جوانب الإبداع ، التى يمكن أن نقف من ورائها على نوع الحياة فى العصر الذى قيلت فيه .

---

(١) ألمى : ثغر منور
(٢) إياة الشمس : ضوؤها

هل نجد من الصعوبة مثلاً أن نجتهد فنعلم أن الناقة العوجاء هى المهزولة ذات الأسفار . والمرقال هى المسرعة . والأمون هى التى يؤمن عثارها . والإران هو التابوت الذى كانوا يجعلون فيه سادتهم دون غيرهم . والإران فى غير هذا هو النشاط والمرح ؟

لنا أن نقول إن الكلمات غريبة ؛ لأنها أوصاف للناقة مثلاً ، وقد حظيت باهتمام كبير من الشعراء العرب ، ولكن سرعان ماتسهل اللغة وتلين ، دون أن تفقد ماسماه النقاد قديماً : الجزالة والمتانة ، حفاظاً على اللغة ، وتعلقاً بفصيحها ، وتوسيعاً لاستخدام دلالاتها .

أما فلسفة هذا الشاب الصغير النابغة ، فتشغل معظم معلقته ، إنها فلسفة لها منابع متعددة ، ولها أيضاً منافذ متعددة فى سلوك الشاعر وإبداعه . إنها فلسفة تمثل فرديته الخالصة التى لا ينْعَزل بها عن قومه وقضاياهم ، ونشاطه الاجتماعى الخالص الذى لا ينعَزل به عن حاجات نفسه . إنه شاب لايقيم فى غير بيته مخافة أن ينزل به ضيف ، أو يغزوه عدو . ولكنه يلبى داعى القوم فى إكرام الضيف ، وقتال العدو . وإذا لم تجده فى محفل قومه وجدته فى مجلس شراب وطرب . وإن اجتمع الحى للافتخار ، وجدته أوفاهم حظا من الحسب والنسب . يقول :ـــ

ولست بحلَّال التلاع(١) مخافةً ... ولكنْ متى يسترفد القوم أرفِد(٢)
فإن تبغنى فى حلْقة القوم تلقنى ... وإن تقتنصنى فى الحوانيت تصطد
وإن يلتق الحى الجميع تلاقنى ... إلى ذروة البيت الرفيع المصمد

إنه فى لهوه ليس ساقطاً ولا مبتذلاً ؛ لأنه يحسن اختيار ندمائه . فجلساؤه يرتفعون إلى مستواه ، والجارية التى تغنيهم من طراز خاص يقول :ـــ

---

(١) **التلعة** : ماانخفض عن الجبال وارتفع عن مسيل الماء

(٢) **الرفد والإرفاد** : الإعانة والاستعانة .

ندامای بیض[1] کالنجوم ، وقینة تروح علینا بین برد ومجسد
رحیب قطاب الجیب[2] منها رفیقة بجس الندامی ، بضة المتجرد
إذا نحن قلنا : أسمعینا ، انبرت لنا علی رِسْلها مطروقة لم تشدد
إذا رجَّعت فی صوتها خِلتَ صوتها تجاوبَ أظآر[3] علی رُبَع[4] ردی[5]

ولهذا الانفلات ، قاطعه قومه ؛ واعتزلوه ، ولكنه لم يجد نفسه وحيداً دون أهله : فالفقراء الذين يمد لهم يد المساعدة يفدون إليه ، والأغنياء الذين يأنسون لما فيه من لهو يقبلون عليه . يقول :ـــ

ومازال تشرابی الخمور ولذتی وبیعی ، وإنفاق طریفی ومتْلدی
إلی أن تحامتنی العشیرة کلها وأُفْرِدتُ إفراد البعیر المعبد
رأیت بنی غبراء لا ینکروننی ولا أهل هاذاك الطراف الممدد

إن فلسفته التى لم يتجاوب معها أهله لم تكن لهواً مطلقاً ، ولا جداً مطلقا ، ولكنها مزيج من هذا وذاك . ومع هذا فإنه لم يكن مغلق العقل ، شارد التفكير . إنه يناقش نفسه ، ويبسط أمامها قضاياه ، حتى انتهى إلى أن الإنسان الجاد فى حياته ، يصل إلى العدم المطلق . فهل يقطع الإنسان حياته القصيرة مهموماً مشغولاً ؟ إنها فلسفة وإن كانت قاصرة ، ولم تمتد حتى تصل إلى التأصيل الفلسفى مثل من تعمقوا من الفلاسفة ؛ لأنه عاش عشرين ، أو ستا وعشرين سنة فقط . إنها مساحة من الزمن لاتكفى لاستكناه أسرار الوجود ، واستكمال فلسفة فى الحياة .

وربما لو كان الزمن قد امتد به ، لأوصلنا إلى فكر آخر . انظر إليه فى قوله :ـــ

---

(١) وصفهم بالبياض إشارة إلى أنهم أحرار ولدتهم حرائر ، أو وصفهم بالبياض لإشراق ألوانهم ، وتلألؤ غررهم فى الأندية والمقامات إذ لم يلحق بهم عار يعيرون به .
(٢) **قطاب الجيب** : مخرج الرأس منه
(٣) **الظئر** : التى لها ولد
(٤) **الربع** من ولد الإبل ماولد فى أول النتاج
(٥) **ردى** : هلك

ألا أيهذا اللائمى أحضرَ الوغى وأن أشهدَ اللذات.هل أنت مخلدى؟
فإن كنت لاتستطيع دفع منيتى فَدَعْنى أبادرْها بما ملكت يدى
ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدِّك ، لم أحفِل متى قام عُوَّدى(١)
فمنهن سبقُ العاذلات بشَرْبَةٍ كُمَيْت(٢) متى ماتُعْلَ بالماء تُزبد
وكرى(٣) إذا نادى المضافُ(٤) مُحَنَّباً كسيدِ(٥) الغضا ذى السورة المتورد(٦)
وتقصير يوم الدجْن(٧)،والدجن معجب ببهكنةٍ(٨) تحت الطراف المعمَّد
كأن البُرينَ(٩) والدماليج(١٠) عُلِّقت على عُشرٍ(١١) أو خِرْوَعٍ ، لم يُخضَّد(١٢)
كريمٌ يروِّى نفسه(١٣) فى حياته ستعلم – إن متنا غداً–أيُّنا الصدى(١٤)
أرى قبر نحامٍ(١٥) بخيلٍ بماله كقبر غوىٍّ فى البطالة مفسد
ترى جُثْوَتين(١٦) من تراب عليهما صفائح(١٧) صمٌّ من صفيح منضدَّ
أرى الموت يعتام(١٨) الكرام ويصطفى عقيلة(١٩) مال الفاحش(٢٠) المتشدد

---

(١) **متى قام عوَّدى** : متى متُّ
(٢) **كميت** : حمراء حمرة تضرب إلى السواد
(٣) **يقال كرَّ يكر كروراً وكرا إذا عطف ورجع**
(٤) **الملجأ**
(٥) **السيد** : الذئب وذئب الغضا أخبث الذئاب
(٦) الذى يطلب الورد
(٧) **الدجن** : إلباس الغيم آفاق السماء
(٨) **البهكنة** : الحسنة الخلق .
(٩) الخلاخيل
(١٠) المِعْضَد من الحلى
(١١) عشر وخروع نوعان من الشجر
(١٢) لم يكسر
(١٣) يروى نفسه من الخمر
(١٤) الصدى : العطشان
(١٥) **النحام** : البخيل الذى يتنحنح إذا سئل
(١٦) **الجثوة** : التراب المجتمع
(١٧) **الصفائح** : الصخور الرقاق
(١٨) **يعتام** : يختار
(١٩) **عقيلة المال** : أكرمه وأنفسه عند أهله
(٢٠) **الفاحش** : القبيح السيء الخلق

أرى العيش كنزاً ناقصاً كل ليلة وماتنقص الأيامُ ، والدهر يَنْفَدِ [1]
لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى لَكالطِّوَلِ [2] المُرْخَى ، وثنْياه باليد

وثمة شيء آخر ينبغى التنبه إليه ، ذلكم هو إحساس الشاعر بأهمية القرابة ، بل وضرورتها . إنه حريص على صلة الرحم ؛ لأن فى حرصه هذا راحة نفسية له ، تمتع شعوره وإحساسه ؛ لأن فى هذا شعوراً بالجماعة ، ورضا بالانتماء إليها ؛ ولهذا كان رقيقا فى عتاب ابن عمه ، يقترب منه ، إذا بعد هو عنه . إنه يلبى طلب ابن عمه ، ويتحدى الخطب العظيم الذى ينزل به ، وإن أساء الأعداء القول فيه . لقد شغل نفسه بإبادتهم ، قبل أن يشغل نفسه بتهديدهم . إلا أنه جريح فى خواطره من ناحية مالك ، حيث إنه لم يستجب لأواصر القرابة . إنه عتاب القوىِّ لا عتاب الضعيف . عتاب الحريص على جمع شمل الأسرة ، والإبقاء على وحدتها ؛ لأن قوته من قوتها ، وذاته من وجودها يقول :ـــ

يلوم وما أدرى علام يلومنى كما لامنى فى الحى قُرْط بنُ مُعْبد [3]
فمالى أرانى وابن عَمِّىَ مالكا متى أدنُ منه ، ينأَ عنى ويبعدِ
وأيأسنى من كل خير طلبته كأنّا وضعناه على رمسِ [4] ملحد
على غير ذنب قلته ، غير أننى نشدت فلم أغفل حَمولة [5] معبد

---

(١) **يروى** : أرى العمر كنزا ، والمعنى : أرى أهل الدهر . **والكنز** مااستعد وحفظ
(٢) **الطول** : الحبل ، **وثنياه** : أى ماثنى منه
(٣) قرط هذا رجل لامه على مالا يجب أن يلام عليه
(٤) **الرمس** : القبر
(٥) **حمولة معبد** : حمولة بالفتح الإبل التى تحمل الأحمال ، **ومعبد** هذا أخو طرفة .

وقرَّبت بالقربى ، وجدِّك[1] إننى ... متى يكُ أمرٌ للنكيثة[2] أشهد
وإن أُدْعَ للجُلىَّ[3] أكن من حُماتها ... وإن يأتك الأعداء بالجهد أجهد
وإن يقدفوا بالقذع[4] عرضك أسقهم ... بكأس حياض الموت قبل التهدد
ولكن مولاى امرؤ هو خانقى ... على الشكر والتسآل[5] أو أنا مفتد
وظلم ذوى القربى أشدُّ مضاضة ... على المرء من وقع الحسام المهند
فذرْنى وخُلْقى ، إننى لك شاكر ... ولو حل بيتى نائياً غير ضَرْغَد[6]
فلو شاء ربى كنت قيس بن خالد ... ولو شاءِ ربى كنت عمرو بن مَرْثَد[7]
فأصبحت ذا مال كثير وزارنى ... بنـــــون كرام سادة لمسوَّد
أنا الرجل الضِّرب[8] الذى تعرفونه ... خشاشٌ[9] كرأس الحية المتوقــد

ثم إنه فى آخر القصيدة ، يطلق أبياتاً تجرى مجرى الحكمة ، بالرغم من عمره القصير يقول :ـــ

ستبدى لك الأيام ماكنت جاهلا ... ويأتيك بالأخبار من لم تزود
سيأتيك بالأخبار من لم تبع له ... بتاتاً[10] ولم تضرب له وقت موعد

---

(١) **وجدّك** : وأبيك .
(٢) **النكيثة** : الانتقاض .
(٣) **الجُلىَّ** : الأمر العظيم .
(٤) **القذع** : الكلام القبيح .
(٥) **التسآل** : السؤال .
(٦) **ضرغد** : جبل .
(٧) **عمرو بن مرثد** : عم لطرفة كثير الولد . أما قيس بن خالد فقد كان كثير المال ، فلما بلغه قول طرفة بعث إليه ، فقال : أما الولد فالله يرزقك . وأما المال فنحمله إليك حتى تكون أوسطنا مالاً . ثم بعث إليه بألف راحلة برعاتها وكلابها وإمائها .
(٨) **الضَّرب** : بين السمين والمهزول .
(٩) **خشاش** : داخل فى الأمور .
(١٠) **البتات** : الزاد .

إن شعر هذا الشاعر مرآة تتلألأ فيها تجارب حياته ، وتنعكس أحداث أمته . لقد كانت معلقته صورة من عمره القصير ، يحكى فى أبياتها معاناته ، ويشرح فلسفته ، التى كانت وليدة عقل مفكر متأمل ، من خلال صلته بمجتمعه وأهله ونفسه .

إن معلقة هذا الشاعر وثيقة تاريخية ، تصور ألواناً من أخلاق العرب الكريمة ، وألواناً أخرى من النزعات المادية ، التى أولع بها بعض الشبان الجاهليين . إنها – أيضاً – تكشف عما كان للعرب حينذاك من سفن تمخر عباب الخليج العربى ، ومن صناعات كدباغة الجلود فى اليمن ، وصناعة الورق فى الشام .

لقد كان هذا الشاب صورة لمجتمعه ، أخذاً وعطاءً ، حيث رسم كثيراً من معالمه بريشة الفنان الماهر ، الذى حفظ هذا الرسم فى ذاكرة الأجيال ، بما أودع فيها من إبداع وابتكار وصدق . لقد كان امرأً واضح الأبعاد ، لم تذب شخصيته فى شخصية غيره . حتى إن لهوه كان نابعاً من فكرة أملاها عليه عقله وتفكيره . وقابل ذلك اللهو بهذا الجد ، عند الإسراع إلى ميدان الوغى ، يحمى الذمار ، ويذود عن القبيلة ، إنها فلسفة الموت الذى يستبد بالحياة ، ويتمسك بها ؛ فى ميزان دقيق يقتضى الفكر والنظر معاً ، مما يثير فى الإنسان طاقات التأمل الخصيب .

ولقد كان هذا التأمل بداية لفلسفة عميقة الجذور ، بعيدة الغور ، حيث وقف عندها شاعرنا حائراً ، شاكاً ، قصر سنه عن أن يبلغ للتأمل إلى منتهى . إن شيئاً من الوقوف أمام فكره ، يجعلنا نتساءل : أَبَعُدَ ابن عمه مالك أم اقترب منه ؟ تودد إليه أم جافاه ؟ أحبه أم كرهه ؟ أَتَرَكَ أمر القبيلة للقبيلة ، وعاش لنفسه فقط ، أم شده الحنين إلى شبابها وأرضها ، فطار إليها كلما سمع نَبَأً ؟

ولعلنا من هذا نتبين رؤيته للحب بمعناه الشامل – الذى يتضمن العفو عن الهنات ، والتأنى على العتاب على ما يمكن أن يعتبره سفاسف الأمور ؛ ولذا فقد يوافقنى البعض على أن بعض فكره كان دعوة إلى الحب ، والتضامن ، والالتحام بين الأخ وأخيه ، وابن عمه ، وسائر قرابته .

ثم إننا أيضاً نلمح منه الرفض والتمرد ، رفض الظلم والثورة عليه ، ويعلن ذلك فى قوله :ـــ

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة
على النفس من وقع الحسام المهند

لقد كان طرفة فى فكره صورة جديدة للعصر الجاهلى ، يتميز بها بالجدة والطرافة ، وخفة الظل ، والحزن واليأس ، والميل إلى الانطلاق فى قصد واعتدال . كل ذلك كان يصدر عن ذاته لا عن ذوات خارجية . وانظر معى :ـــ

فإن متُّ فانعينى بما أنا أهله
وشقى علىَّ الجيبَ يابنة معبد
ولا تجعلينى كامرىء ليس همه
كهَمِّى ، ولا يغنى غَنائى ومشهدى

إن فيهما – أى البيتين – طموحاً واسع المدى ، ونفساً لايتسع لها حجمها ، وشعوراً جارفاً بالذات التى تفيض قوة ، وتميزاً ، واستقلالاً .

ثم إن فيهما شعور الفنان المبدع ، الذى يرضيه أن يسمع الناس عنه بعد موته ، كما سمعوا به فى حياته ؛ لأن حياته كانت ملء السمع والبصر والفؤاد . ولا يريد بهذا التميز أن يكون على غير أساس ، إن غيره لايساويه فى همته ، ولا يدانيه فى خلاله . ومن ثم لايكون البكاء على غير طرفة مثل البكاء على طرفة ، ولا الثناء عليه مثل الثناء على طرفة .

ومما تجدر الإشارة إليه أنه قد يكون فى وصف الناقة الذى ورد فى هذه المعلقة شىء من صنعة علماء اللغة ، ولقد أكد ذلك قول الدكتور طه حسين[1] :ـــ « ويرجح أخيراً أن يكون فى هذه القصيدة شعر صنعه علماء اللغة ، هو وصف

---

(١) من كتابه « **فى الأدب الجاهلى** » ص ٢٢٩ .

الناقة ، وشعر صدر عن شاعر حقاً هو هذه الأبيات التى ساقها فى فلسفة طرفة . وليس يأمن من ذلك أن يكون فى هذه الأبيات نفسها مادُسَّ على الشاعر دسًّا ، ونحل نحلاً » .

أما الدكتور بدوى طبانه[1] فيقول : « إن هذا البدوى الملحد الشاك قال الرواية وقال التاريخ : إنه طرفة ، ولم يقل أحدٌ إنه شخص سواه ، ولم يستطع الدكتور طه حسين فى هذه الكلمات – كما رأيت – أن ينكر طرفة . ولم يقم الدليل على أنه شخص آخر »

وبعـد ...

إن حقيقة طرفة كحقيقة عمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلِّزة . بل إن شخصيته لتتميز عن كلتا الشخصيتين بكثير من الملامح والأبعاد ، التى تجعل منه علماً فى مجال الشعر الجاهلى ، وواحداً من المتميزين فيه .

---

(١) فى كتابه « **معلقات العرب** » ص ١٢٨ . وفى هذا الكتاب يَعْرض لكتاب الدكتور طه حسين « فى الشعر الجاهلى » .